

تأمّلات في القواسم المشتركة بين الحكم في السعودية وإسرائيل

رفعت سيد أحمد

كاتب ومحرر قومي من مصر. رئيس مركز يافا للدراسات والابحاث القاهرة.

إن الجديد ربما في مواقف وتصريحات محمد بن سلمان، هو السرعة والاندفاع والجهل.. الجهل في ما يتّصل بهذا الصراع وطبيعته والجهل في أساليب تقديم، العلاقات الدافئة معه إلى الرأي العام الغاضب، على عكس ما كان يفعل جدّه وأعمامه من ملوك تلك المملكة، لقد كانوا يؤمنون بنفس أفكاره في حب الكيان الصهيوني ويرتبطون معه بعلاقات سرّية دافئة، لكنهم كانوا أكثر منه، ذكاء وكياسة، في تغليف "الخيانة".

مع إطلالة كل صباح يُفاجئ ولـ"العهد السعودي، العالم، وبخاصةِ العرب، بمواقف وتصريحات صادمة، خاصة ما يتّصل منها بالكيان الصهيوني، والتي قد يتتصوّرها البعض من مُثّقّفينا وسياسيينا إنها جديدة على تاريخ السعودية وموافقها تجاه فلسطين والاحتلال الصهيوني لها، رغم أن الحقائق التاريخية تؤكّد نقیص ذلك التصور، وتقدّم لنا مادة معلوماتية دسمة في الاتصالات السرّية والعلنية بين آل سعود والكيان الصهيوني منذ المؤسس عبدالعزيز آل سعود إلى الحفيد محمد بن سلمان، ولقد كشفنا جوانب منها في دراسة منشورة لنا تحت عنوان "أولاد العم المُطبّعون: العلاقات السرّية بين آل سعود والكيان الصهيوني -2016".." إلا أن الجديد ربما في مواقف وتصريحات محمد بن سلمان، هو السرعة والاندفاع والجهل.. الجهل في ما يتّصل بهذا الصراع وطبيعته والجهل في أساليب تقديم، العلاقات الدافئة معه إلى الرأي العام الغاضب، على عكس ما كان يفعل جدّه وأعمامه من ملوك تلك المملكة، لقد كانوا يؤمنون بنفس أفكاره في حب الكيان الصهيوني ويرتبطون معه بعلاقات سرّية دافئة، لكنهم كانوا أكثر منه، ذكاء وكياسة، في تغليف "الخيانة" لتبديو وكأنها خدمة للأمة العربية، تأخذ تارة شكل "مبادرة عربية للسلام" وتارة أخرى شكل "حوار للأديان" وغيرها... ولم يكونوا بنفس اندفاع وجهل.. هذا الحفيد، على أية حال دعونا نفتح هذا الملف قبل أيام قال ولـ"العهد السعودي، محمد بن سلمان، إن لـ"الإسرائيлиين الحق في العيش بسلام على أرضهم"، مضيفاً أن "السعودية تتقاسم الكثير من المصالح مع إسرائيل".

وفي مقابلة مع مجلة "ذا أتلانتيك" الأميركية، نشرتها الإثنين 2/4/2018، قال ولی العهد السعودي، إنه يعتقد أن "من حق الفلسطينيين والإسرائييليين العيش على أراضيهم".

وأشار بن سلمان إلى أنه "علينا التوصل إلى اتفاق سلام لضمان الاستقرار للجميع، وإقامة علاقات طبيعية"، واصفاً الاقتصاد الإسرائيلي بـ"القوى مُقارنة بحجمها"، وأنه "في حال تحقيق السلام سيكون هناك الكثير من المصالح بين إسرائيل ودول مجلس التعاون الخليجي، ودول مثل مصر والأردن". وقال بن سلمان إنّه "لدينا مخاوف دينية بشأن مصير المسجد الأقصى في القدس، وبشأن حقوق الشعب الفلسطيني. هذا ما لدينا. ليس لدينا أي اعتراض على أي شعب آخر".

وفي موازاة ذلك أكدت الصحفة الإسرائيلية خلال الفترة الماضية على معلومات استخباراتية مهمة تفيد بأنّ "خطة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، لـ"التسوية" في الشرق الأوسط المعروفة بـ"صفقة القرن"، استحوذت على جزء كبير من المباحثات التي أجرتها وليّ العهد السعودي مع أركان الإدارة الأميركيّة في واشنطن خلال زيارته الأخيرة.

وأفادت بأنّ "كلاً" من جاريد كوشنر، مستشار البيت الأبيض وصهر ترامب، وبين سلمان، (وهما أصدقاء في البرنس والسياسة!) أمضيا، قبل أسبوع، ساعات طويلة وعلى مدى ليالٍ، في بحث مستقبل الخطة وإذا أضفنا لهذه المعلومات أخباراً أخرى عن لقاءات سرّية بين رئيس الأركان الإسرائيلي وبين بن سلمان للتنسيق الأمني المشترك ضد إيران، وإنها تمت قبل زيارة بن سلمان إلى واشنطن وأنه قد صاحبتها اتصالات أخرى بين مسؤولين سعوديين وإسرائيليين في أماكن عديدة من العالم بما فيها تل أبيب... إذا علمنا كل هذا فإن القول بتناامي العلاقات وتصاعد وتيرتها بين الدولتين، يصبح قولهً صحيحاً، وهو يؤكّد مجدداً أن التشابه في النشأة والأدوار والوظيفة في خدمة الغرب،، مثل مع (تشابهات وقواسم أخرى) سنذكرها لاحقاً، دافعاً استراتيجياً للعمل المشترك بينهما تاريخياً، وهو ما سيزيد وبقوة في زمن حُكم الأمير الطموح والمُتعجل (محمد بن سلمان)... لكل هذا دعونا نتناول بعض القواسم التاريخية بين الكيانين (السعودي والإسرائيلي) والتي ساهمت من بين عوامل أخرى سياسية واقتصادية، في سرعة التقارب بين (سعودية محمد بن سلمان) والكيان الصهيوني.

أولاً: قيام الدولتين على أساس التوظيف السياسي للدين: رغم ادعاهات محمد بن سلمان وجوقة المُهَلّلين له من إعلامي المنطقة (خاصة في بلادي مصر)، بأن الرجل جاء ليقضي على الوهّابية، فإنه ونحسم الأمر هنا_ غير راغب وغير قادر.. لماذا؟ لأنها-أي الوهّابية - بالنسبة لحكمه الأساس ومصدر شرعية الساقية واللاحقة، ولنتمّل أقواله الجديدة المؤكّدة على أهمية التمسّك بها، وأن اللعب والتغيير سيكون في الشكل فقط، في (الأفلام والأغاني والترفيه ومسرح جدّة واستحضار المُطربين والمُطربات !) وليس في جوهر دورها المساند للحكُم الوراثي في تلك المملكة، هذا الدور السياسي لتوظيف الدين هو عينه الدور السياسي للدين في الكيان الصهيوني، فلقد قام الكيان الصهيوني على أساس استغلال نصوص دينية قديمة في سبيل مشروع حديث طُعْـم بالفker القومي الأوروبي وخاصة المُتّصل

بمفهوم الدولة القومية وجمعها لشّتات اليهود المنتشرين في العالم، فالحركة الصهيونية تمثل وجوداً أجنبياً غريباً عن المنطقة ينتمي إلى حضارة مُخالفة هي الحضارة الأوروبيّة وتُعَدُّ بصيغةٍ ما عن صراع طويل وقدّيم بين تلك الحضارة الغربيّة والحضارة الإسلاميّة - العربيّة، والحركة الصهيونية اكتمل نموّها بالدرجة الأولى تحت شعار ديني ووفاء لوعود وأمنيات دينية، وفي هذا الإطار فإن مدينة القدس على وجه التحديد باعتبارها مكاناً مُقدّساً لأتباع الديانات السماوية الثلاث صارت موضوعاً للدعّاوي الدينيّة المُتّصّاربة والمُتعصّبة، وفي مواجهة السيطرة الإسلاميّة على المدينة وفتّ عليها هجرات اليهود تحت شعار العودة إلى أرض الميعاد المزعوم.

ثانياً: العنصرية والتّمييز العرقي والديني: تميّز الكيان الصهيوني والسعودي بالعنصرية تجاه أطراف رئيسة في داخل الكيانين، فنجد في الداخل السعودي قهراً مستمراً للطائفة الشيعية وما قتل الشيخ نمر النمر إلا نموذجاً واضحاً لذلك، وأيضاً صراغاً لهم المكتومة مع اتباع المذهب الشافعي والماليكي المتواجد في منطقة الحجاز وتفضيل اتباع المذهب الحنفي (الوهّابية) للمسيطرين على نجد.. إلى مثال آخر، وأيضاً حربهم المستمرة منذ ثلاث سنوات ضدّ أهل اليمن من اتباع المذهب الزيدّي، واضطهاد أهل عسير وجيزان ونجران من أتباع نفس المذهب الزيدّي إلا مثال آخر... وبالمقابل فإن الكيان الصهيوني يعيش هو الآخر تمايزاً بين اليهود أنفسهم حيث يتقدّر يهود أوروبا المقام الأول لأنّهم القلة المختارّة والصفوة صاحبة المشروع منذ بدايته، ويأتي اليهود ذو الأصول الشرقيّة والفلاشا حتى اليهود الروس القادمون بعد إتمام المشروع في مراتب مُتدنيةٍ ويشكّل هؤلاء حلقات تُعاني من التّمييز والدونيّة التي تعبّر عن ذاتها في الإقصاء والابتعاد عن دوائر صنع القرار السياسي والاقتصادي، ويبقى عرب 1948 داخل الخط الأخضر نموذجاً صارخاً على عنصرية الكيان الصهيوني وطائفته وتميّزه على أساس العرق والدين، فداخل ما يُسمّى "الخط الأخضر" الحدود غير الرسمية للكيان الصهيوني قبل عام 1967 لا يزال هناك حوالي مليوني فلسطيني أي حوالي 20% من مجموع سكان إسرائيل ومعظم الفلسطينيين من المسلمين والأقلية تُدين بال المسيحية..

ثالثاً: التّبعية للخارج والاعتماد عليه: بات واضحاً عبر تجربة الدولة السعودية الثالثة التي أنشأها عبدالعزيز بن سعود (1932)، إن الاعتماد على الخارج، سياسياً واقتصادياً، خاصة بعد اكتشاف النفط، قد صار عقيدة استراتيجية ثابتة لدى الحكم السعودي، ونحسب أنه سيتزايـد في عهد الملك القـادـم (محمد بن سلمان) لاعتبارات إقليمية دولية عـدـة، نفس الأمر بالنسبة للكيان الصهيوني الذي نشأ وترعرع بفعل العنصر الخارجي المُتمثّل في الدول الاستعمارية (تحديداً بـريطانيا ثم أميركا) ليس فقط في بداية المشروع بل في حاضره الراهن من أجل استمراره هذا المشروع، فكلا الكيانين لا يستطيعان أن يقفوا على قدمين صلبتين من دون الدعم والمساندة من الخارج، هشاشة الكيانين تتطلّب العنصر الخارجي لأنّهما مشروعان يتّصفان بهشاشة الشرعية وتزويرها.

رابعاً: وأخيراً الدولة الوظيفية: إن وقائع التاريخ والواقع المرّ الذي تعشه المنطقة العربيّة

منذ تأسيس كلا الكيانين (ال سعودي 1932 - والصهيوني 1948) تؤكد أن المنظومة الغربية قد جعلت من كليهما (جماعة وظيفية) لخدمة استراتيجيات ومصالح غربية ودولية في المنطقة، والمُتأمّل لما قامت به السعودية تاريخياً ضد المشروع القومي لجمال عبدالناصر والتآمر الواسع عليه، ثم أدوارها المشبوهة في اليمن في السبعينات وحتى حربها الأخيرة، وكذلك دورها في لبنان والربيع العربي المزعوم في سوريا والعراق ولبيا.. وغيرها من الأدوار؛ يجد أنها كانت بمثابة (جماعة وظيفية) تؤدي أدواراً معلومة (وثائق ويكيبيك فضحتها) للقوى الخارجية وهذا الأمر لم يعد لكثره وثائقه وحقائقه يحتاج إلى دليل... نفس الأمر يُقال عن الكيان الصهيوني وحروبه ومؤامراته منذ النكبة (1948) وحتى اتفاقات السلام الزائف والتطبيع مع مصر والأردن والسلطة الفلسطينية.. إننا بالفعل أمام ليس فحسب دولتين مُتشابهتين في النشأة (الدامية) والوظائف والأدوار المستمرة حتى اليوم (2018) لتعطيل النهضة والوحدة في هذه الأمّة.. ليس هذا فقط.. لقد صرنا أمام تقاسُم لتلك الأدوار والوظائف علانِيّة ومن دون خجل. وما هو قادم على أيدي الأمير الطموح والمُتعجّل (محمد بن سلمان) أشدّ وأوضح..